الثقافة والتغيير في العالمين العربي والإسلامي: تحديات وفرص

أ. د. حسن عبدالرحمن السلوادي*

* مدير برنامج البحث العلمي والدراسات العليا، جامعة القدس المفتوحة.

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى معالجة موضوع الثقافة والتغيير الحضاري في ظل العولمة التي تعبر -في رأي كثير من الباحثين- عن المركزية الأوروبية في نزوعها الدائب، وسعيها الحثيث إلى تنميط البشر والقيم والمفاهيم وفق معاييرها الجديدة.

وقد اخترت موضوع الثقافة لإدراكي بأن من الصعوبة بمكان مقاربة ظاهرة العولمة وانعكاساتها بمعزل عن بعدها الثقافي، ولا سيما بعد ظهور ما يسمى بالثقافة الإلكترونية التي تغلغلت في أرجاء العالم غير أبهة بالحواجز والأسوار والمسافات، مما شكل تحدياً سافراً للأمم والشعوب التي تعتز بقيمها الثقافية والحضارية كالشعوب العربية والإسلامية.

من هنا تنبع الإشكالية التي تحاول هذه الدراسة معالجتها، واقتراح الحلول والآليات لإنجاز عملية التغيير والتحديث واستيعاب مفرداتهما بعد دراسة مظاهر الأزمة التي تمر بها ثقافتنا والتحديات التي تواجهها والمقومات التي تتوافر لديها، والتي ينبغي استثمارها لتحقيق الحداثة والتناغم مع معطيات العصر.

وقد استخدم الباحث منهجاً قائماً على الاستقراء والتحليل، وكان من أبرز النتائج التي توصل إليها ضرورة العمل على وضع استراتيجية للتنمية الشاملة تأخذ في اعتبارها متطلبات التغيير ووسائله في إطار البعد الثقافي، وهو المحور الأساس الذي بنيت عليه هذه الدراسة.

Abstract:

The study aims at presenting the issue of culture and civilization change through globalization which as many believe represents European centralization in its constant efforts to classify people, values and concepts according to its new criteria.

The researcher chose the topic of culture because it is very hard to compare the issue of globalization with its reflective results in isolation from the cultural dimension specially after the emergence of the widely spread electronic culture. This in effect, has become a stark challenge for nations which highly estimate their cultural and civilized values like the Arab countries.Thus, there is a contradiction that is created in this respect.

This study tries to handle this contradiction and offer solutions and mechanisms to deal with these processes of change and modernization and to understand their terms after studying the aspects of the crisis and challenges that our culture is undergoing, and the challenging facing at the essential aspects that our culture posseses should be wisely utilized to achieve modernization and harmony with the spirit and features of the current age.

The researcher has used a method based on induction and analysis. One of the basic results that he has reached is the necessity to put a strategy for comprehensive development which takes into consideration change requirements and thier means in the cultural dimension the major aspects which the study is based upon.

مقدمة:

شكل موضوع العولمة في العقدين الأخيرين محوراً رئيساً لعدد كبير من الندوات والملتقيات الفكرية والثقافية، إضافة إلي عشرات المؤلفات والدراسات والأبحاث . وكان الإجماع منعقداً على أن العولمة تمثل تحدياً كبيراً لأمتنا العربية والإسلامية، بصرف النظر عن الاختلاف في منطلقات المقاربة، وزوايا النظر، ونقاط التركيز؛ فالإنسانية اليوم تقف على أعتاب عصر جديد هو عصر الثورة الصناعية، أو عصر المعلوماتية الذي أضحى سمة مميزة لحضارة القرن الحادي والعشرين بما يجري فيه من اكتشاف للفضاء، واقتحام للمحيطات، وثورة في مجال الجينات والهندسة الوراثية، واستخدام واسع النطاق للإلكترونيات " التي أدخلت الإنسان من أوسع الأبواب في عصر الاتصالات الشاملة، والطرق الفسيحة (Autoroutes) لانتقال المعلومات، مما ألغى المسافات بين شعوب المعمورة، وأسهم بشكل ملحوظ في صياغة مجتمعات الغد وثقافاتها وفق نمط يكاد يكون أكثر تشابها وتوحداً "(١)

ومن المؤكد أن العالم العربي والإسلامي ليس بمنأى عن هذه التحولات المتسارعة، فهو جزء من المجتمع الدولي يؤثر فيه ويتأثر به ؛ ولأن الإسلام دين عالمي لا يخص المسلمين وحدهم ؛ ولأن علاقات المسلمين مع غيرهم منضبطة في إطار الأخوة الإنسانية، فإن المتغيرات العالمية الراهنة التي واكبت ثورة الاتصالات والمعلومات تصيب العرب والمسلمين، كما تصيب غيرهم في حاضرهم ومستقبلهم سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وثقافياً.

ولعل من الصعوبة بمكان مقاربة ظاهرة العولمة وانعكاساتها دون ربط الموضوع ببعده الثقافي، فالثقافة التي كانت دائماً مرجعاً أساسياً لفهم سلوكيات الشعوب في الحاضر والمستقبل، أضحت اليوم قضية استراتيجية على الصعيد العالمي بفضل التطور التقاني الذي زاوج بين الثقافة والتقانة، وحوَّل الثقافة إلي سلعة نجم عنها ظهور ما سمي بالثقافة الإلكترونية التي تغلغلت في أرجاء العالم غير آبهة بالحواجز والأسوار والمسافات، مما شكل تحدياً سافراً لكثير من الأمم والشعوب، ولا سيما شعوب البلدان النامية، التي تعتز بقيمها الثقافية والحضارية المستمدة من منابع وفضاءات روحية كونية كالشعوب الإسلامية.

من هنا تنبع الإشكالية التي تحاول هذه الدراسة معالجتها، واقتراح الحلول والوسائل لمواجهتها والحد من أخطارها، فهل الثقافة العربية والإسلامية قادرة بإمكاناتها الذاتية، وعناصر الإبداع في مكوناتها الرئيسة على التفاعل الخلاق، والاندماج السلس مع معطيات العولمة وآثارها؟، أو أنها ثقافة مأزومة تعبر عن واقع مأزوم؟. وإذا كان الواقع كذلك فما

أبرز التحديات التي تواجه ثقافتنا في المستويين الداخلي والخارجي؟ وهل هناك من فرص لتجاوز هذه الأزمة والتغلب عليها؟ . وما الوسائل الكفيلة بتحقيق ذلك؟ هل هي الانفتاح المطلق على ثقافات الآخرين، أو الانكفاء على الذات والتقوقع في شرنقة تحجب عنها أشعة الشمس ورياح التغيير، أو اللجوء إلى منهج التوفيق أو التلفيق الذي تبناه رواد النهضة العربية والإسلامية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين؟

وتوطئة للإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها، لا بد من الإشارة إلى أمرين يشكلان محددين رئيسين للدراسة:

الأول: إن من التبسيط المتناهي للأمور التعامل مع مفهوم الثقافة اليوم انطلاقاً من التعريفات التقليدية السابقة(٢) باعتبارها القدر الثابت والجوهري والمشترك من السمات والقسمات العامة، وأنماط السلوك التي تميز حضارة ما من غيرها من الحضارات، وتجعل للشخصية طابعاً تتميز به عن الشخصيات الأخرى، وتكسبها هويتها الخاصة بها(٣).

هذا التعريف أو ما يقاربه كان كافياً بحد ذاته عندما كانت المجتمعات تتحكم بوسائلها الخاصة بالتنشئة الاجتماعية لأبنائها، ولم يكن للمؤثرات الخارجية كبير أثر في البنية الثقافية، ولكن في ظل التدفق الهائل للأفكار والقيم وأنماط السلوك الذي واكب الثورة المعلوماتية المعاصرة، لم تعد مفردة الثقافة تحتمل المعاني اللغوية والرموز والكنايات التي تفرعت عنها، بل إنها لم تعد نتاجاً وطنياً خالصاً، ولم تعد النظم السياسية والاجتماعية قادرة على التحكم بالتنشئة الاجتماعية، وبالتالي بمصادر الثقافة الوطنية ومغذياتها.

الأمر الثاني، ويتعلق بمصطلح الثقافة الذي سنتعامل به في دراستنا. أهو الثقافة الإسلامية؟ أم الثقافة العربية؟ أم الثقافة العربية الإسلامية؟ فإذا كان مفهوم الثقافة قد طرأ عليه تغيير جذري بحكم الانفتاح الواسع بين الثقافات، فإن هذا التغيير لا يعني الإقصاء أو التهميش أو الذوبان، على الرغم من أن الثقافة الغربية الحالية تسعى لتحقيق هذا الهدف، وتعمل من أجله بكل السبل المتاحة لديها، وإنما يعني أن الثقافات المستهدفة يزداد تمسكها بمقومات هويتها ووجودها، بقدر ما تتعرض له من ضغوط خارجية تحاول الانتقاص من هذه المقومات أو خلخلة بنيانها، وتوهين عراها المتأصلة فيها منذ بداية وجودها وحراكها على مسرح التاريخ البشري. ومن المؤكد أن وجود المناعة في المكوِّن الثقافي لدى الأمة يجعلها عصية على الإلغاء أو التهميش أو الذوبان كما يريد الآخرون ويسعون إليه، ولهذا آثرت استخدام مصطلح الثقافة العربية الإسلامية؛ لأن الشعوب المنضوية تحت لواء الإسلام تستند ثقافاتها إلى حد كبير إلى العقيدة الإسلامية

وتعاليمها، وإنجازات حضارتها مما يشكل عاملا مشتركا بين أبناء هذه الشعوب بغض النظر عن وجود مكونات ثقافية أخرى كالبيئة الجغرافية، والبنى الاجتماعية، والأعراف والتقاليد والماضي التاريخي، قد تتفاوت وتتباين من شعب إلى آخر ومن بيئة إلى أخرى.

ومن المسلمات التي يتعذر علينا إغفالها أو تجاهلها في هذا السياق، أن الحراك الحضاري للأمة العربية الإسلامية قد نما وتطور، وأعطى ثماره اليانعة للإنسانية في ظل الشريعة الإسلامية؛ فالإسلام هو الذي طبع ثقافة أمتنا وصبغها بطابعه وصبغته، فعاداتها وتقاليدها وأعرافها وآدابها وفنونها وسائر علومها الإنسانية والاجتماعية والتطبيقية، وكذلك نظرتها للكون والذات والآخر، كل ذلك وما ماثله قد انطبع بالطابع الإسلامي، واصطبغ بمبادئه وتشريعاته، مما يصح معه القول: إن ثقافتنا عربية الجذور، إسلامية الهوية، وإن معيار الدخول والخروج في ميدان هذه الثقافة والقبول والرفض هو المعيار الإسلامي الذي يرتكز إلى قاعدة التوحيد في العقيدة، والعدل والإحسان والتقوى والوسطية في السلوك والتعامل مع الآخرين، وهي مرتكزات أصابها في عصور التخلف والركود، ولا سيما في العصرين المملوكي والعثماني، خلل حرفها عن مقاصدها وغاياتها، ودفع بأصحابها إلى هاوية من الجمود والانغلاق مما عطل مسيرتهم الحضارية، وشل قدراتهم على الإبداع والابتكار والإسهام الفاعل في التقدم البشري والحضارة الإنسانية.

وتأسيساً على ما سبق سنحاول في هذه الدراسة إبراز أهم التحديات الداخلية والخارجية التي تجابه الأمة على مختلف الأصعدة، وبيان مخاطرها وآثارها في مسيرتها النهضوية، ونقوم بعد ذلك بتشريح الواقع وسبر أغواره، وإبراز مكامن ضعفه والأولويات التي تمكِّن الأمة حال استخدامها لها بطريقة مجدية وفاعلة من أن تجد لها مكانة متميزة في دائرة الحضارة العالمية المعاصرة التي تتسارع خطاها، وتتصاعد وتيرة تقدمها بصورة لافتة للنظر، ومحاولة الاندماج فيها من موقع الفاعل المؤثر، لا موقع التابع المقلِّد كما كان دأبنا منذ قرون.

التحديات التي تواجه الثقافة العربية والإسلامية

تتعدد مصادر التحديات التي تواجه ثقافتنا العربية والإسلامية بقدر ما تضعف المناعة لدى الفرد والمجتمع، ولكن المصدر الأساس الذي يأتي منه التحدي الأكبر لهذه الثقافة يكمن في السياسة الاستعمارية الجديدة التي تسود العالم اليوم، والتي ترمي إلى تنميط البشر والقيم والمفاهيم وفق معاييرها الجديدة، والسعي إلى صياغة هوية شمولية تفرضها في الواقع الإنساني

في إطار مزيف من التوافق القسري والإجماع المفروض بالقوة [٤] .

نحن – إذاً – أمام حالة بدأت تأخذ طابعاً كونياً ، وتضع لها أهدافاً للسيطرة الثقافية والتنميط الثقافي الكونيين ، ونعني بذلك أمركة العالم ثقافياً عن طريق فرض الهيمنة بوسائل الاستقطاب غير المباشر والمتمثلة في الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة . يقول عبد الإله بلقزيز " إن العولمة الثقافية ما هي إلا التعبير المكشوف عن السيطرة الثقافية الغربية التي توظف مكتسبات الثورة المعلوماتية لهذا الغرض "[٥] وفي السياق نفسه يرى سمير أمين أن العولمة طرحت نفسها كأيديولوجيا تعبر عن النسق القيمي للغرب على حساب النسق القيمي للحضارات الأخرى " [٦] .

فالعولمة – إذاً – هي في حقيقتها شكل من أشكال النهضة الغربية الجديدة التي تعبر عن المركزية الأوروبية في العصر الحديث ، والتي بدأت منذ الكشوف الجغرافية في القرن الخامس عشر ، حيث وجهت بوصلَتَها الأطماعُ الغربية والإمبريالية ، والرغبة في الاستئثار بخيرات الدول المستعمرة ، ونهبها بالقوة والغلبة العسكرية ، وأراد الغرب أن يعيد الكرة في مرحلة ما بعد التحرر ، فأفرز أشكالاً جديدة للهيمنة عن طريق خلق مفاهيم ، وتوزيعها خارج حدوده مثل العولمة ، والعالم ذي القطب الواحد ، ونهاية التاريخ ، وصراع الحضارات ، والثقافة العالمية ، والعالم قرية واحدة . وكلها مفاهيم تكشف عن سيطرة المركز الغربي على الأطراف الممثلة في دول العالم الثالث ، وتجعل المثقفين في هذه البلدان يلهثون وراءها بالشرح والتفسير والتعليق .

ويبدو أن العالم العربي والإسلامي في هذه الحقبة التاريخية أكثر استهدافا من غيره لهذه الظاهرة وغيرها ، بسبب موقعه وثرواته ومقاومته الشعبية المتنامية للمشروع الصهيوني الذي فرضه الغرب على المنطقة ، فهو تعرض ، وما زال يتعرض ، لحركة انتقال بشكل مكثف وغير مسيطر عليه للأفكار والعقائد والقيم والعادات الغربية بهدف التأثير في ثقافته وسلوك أبنائه ومعتقداتهم ، وتكوين أنساق من الاتجاهات السلوكية والقيمية أو أنماط وأساليب من التفكير والرؤية لدى تلك المجتمعات والشعوب بما يخدم مصالح الجهة ، أو الجهات التي تمارس عملية الاختراق وأهدافها . [٧]

وبدا العالم العربي والإسلامي في ظل هذه المعطيات ، وكأنه أدخل إلى امتحان يفضي –لو انتهى إلى غايته– إلى سلب ثقافتنا وتهديد وجودنا الحضاري ، فالتهديد الغربي ، والتشويه والعدوان والنزوع العنصري وقلب المفاهيم ، والتلاعب بها وازدواج المعايير والمكاييل ، يصيب عالمنا بالرعب ، ويخلخل منظومة قيمنا ، ويهدد أوطاننا ، ويزجها في صراعات داخلية ومآزق خارجية .

ومما يزيد الأمرخطورة أن ثقافة العولمة التي تتحدى الهوية العربية والإسلامية، وتتصارع معها هي ذات خصائص معينة تجعلها تتميز بالقوة والدعم الذي تفتقدهما الثقافة العربية والإسلامية، فهي ثقافة يصاحبها في الغالب خطاب تقني وعلمي، يتوقع أن يسود العالم عن طريق آلياته ووسائطه المتجددة التي بدأت تشهد تحولات جذرية وعميقة، هدفها تسريع عملية الاتصال والانتقال دون اعتبار للعوائق والاعتبارات السياسية والحدود الجغرافية بين الدول، مما يشكل خطراً حقيقياً على الشعوب التي لم تشارك في صياغة نموذجها الحضاري القديم أو تجديده وفق قواعد العلم والتقنية الحديثة.

وفي سعيها للتسلط والهيمنة على ثقافات العالم وتنميطها واحتوائها في إطارها الخاص وقيمها الذاتية، تبنّت المركزية الغربية شعار الثقافة العالمية التي أضحى تحقيقها وتجسيدها على أرض الواقع على رأس الأهداف الاستراتيجية التي تتبناها دول هذا المركز وتسعى إلى تحقيقها، ففي الوقت الذي تدعو فيه العولمة إلى تحرير رؤوس الأموال والسلع من أي ضوابط تحد من حركتها[٨] فإنها تدعو إلى إيجاد ثقافة بلا حدود خاصة بعد أن أسهم التطور الثقافي في مجال الاتصالات والمعلومات في تحقيق التزاوج بين الثقافة والتقانة الذي أشرت إليه سابقا، وبالتالي تحول الثقافة إلي سلعة يسهل تداولها بين الشعوب.

ويؤكد كثير من الباحثين أن هذه الثقافة العالمية آخذة في التشكل والانتشار على حساب الهويات الثقافية المحلية والقومية، يقول روني جان ديبوي: "ما يؤخذ على العولمة تنميطها للأخلاق وقضاؤها على ثقافات العالم لصالح تكوين حضارة مادية تكرس هيمنة الأطراف القوية وسيطرتها"[٩].

ولتحقيق هذا الهدف تروج وسائل الإعلام التابعة لهذه الثقافة مصطلحات بهدف التخفيف من مستوى عدم الندية والتكافؤ بين الثقافات، وضمانا لتسويق مخرجات الثقافة المركزية، والتعاطي مع مفرزاتها دون تحفظ أو حرج، ومن هنا برزت مصطلحات ومفاهيم مثل: المثاقفة والتفاعل الثقافي والتداخل الحضاري، وهي مفاهيم تنتهي إلى أن ثقافة المركز هي الثقافة النمطية التي ينبغي على الثقافات الأخرى احتذاؤها والسير على منوالها، وبذلك تنتهي أسطورة التعددية، وتتأسس العلاقات بين الثقافات المختلفة، وفق معادلة جديدة عنوانها: عالم متعدد لصالح عالم أحادي الطرف، وثقافة تبدع، وثقافات تستهلك، وثقافة تصدر وثقافات تنقل، وبطريقة لا شعورية، وطبقاً للقاعدة الخلدونية: "المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب"[١٠] وتحت أثر تقليد المركز. والانبهار بثقافته يجري استعمال طرق تفكيره ومذاهبه إطاراً مرجعياً دون مراجعة أو نقد، وتبنيها وإطلاقها واعتبارها الثقافة العالمية الممثلة

لجميع الثقافات .

ومكمن الخطورة في انتشار هذه الظاهرة " أنها تعمل وبشكل تدريجي مبرمج على تحطيم الولاء للقيم التراثية والدينية الأصلية، والولاء للوطن والأمة، وإحلال أفكار وولاءات جديدة محلها " (١١)، في محاولة لعولمة السلوك المهني والوظيفي، ونشر الثقافة الاستهلاكية، ثم اعتماد هذه المفاهيم الغربية المعولمة باعتبارها الحل العالمي الأفضل لمشاكل البشرية كافة .

ومع تصاعد وتيرة الليبرالية، والدعوة إلى الحرية والانفتاح على الآخرين، لم يعد من السهل إيقاف هذا الضخ المسعور للقيم والأفكار الغربية " حتى بات من الصعب، إن لم يكن من المتعذر، الوقوف في وجه هذا التيار الجارف، وإلاّ تعرضت شعوب العالم الثالث لحملة أكثر وحشية للانتقاد والقذف بكل صفات الانغلاق والتخلف والرجعية " (١٢)، والأصولية والإرهاب الذي أضحت تهمته سيفاً مصلتاً على رأس كل من يتبنى نهج المقاومة، والتصدي لهذه المخططات التي تستهدف الهوية الوطنية، وتعمل على توهين الشعور بالانتماء للوطن، وإضعاف علاقة الفرد بأمته، ومسخ شخصيته المستقلة كي يدخل مجبراً غير مختار في منظومة العولمة الثقافية، وهو ما عبر عنه توماس فريدمان بقوله : " العولمة أمر واقع وعلى اللاعبين العالميين الانسجام معها واستيعابها، أو الإصرار على العيش في الماضي، وبالتالي خسارة كل شيء، ولا بد من قبول الأمر الواقع " (١٣).

ولا شك في أن المخاطر التي تتعرض لها الهوية العربية، إنما هي مقدمة لمخاطر أعظم على الدولة الوطنية والاستقلال الوطني، والإرادة الوطنية، والثقافة الوطنية، فالعولمة تعني تبعية الأطراف للمركز، وتجميعاً لقوى المركز، وتفتيتاً لقوى الأطراف بإثارة النعرات والتجاذبات والاستقطابات العرقية والطائفية والقبلية داخل الدولة الواحدة (١٤)، مثلما يجري الآن في أفغانستان والعراق ولبنان والسودان حيث تلجأ الإمبريالية الغربية بوسائلها المختلفة إلى إبراز الخصوصيات والهويات والتعددية الثقافية للأقليات العرقية والطائفية بهدف القضاء على وحدة الثقافة ووحدة الوطن ووحدة المصير .

وبعد فإن الكيفية التي عرضناها لتركيبة الثقافة العربية الإسلامية، والتشكيلة المنتظر تحقيقها في المستقبل لعالم القرية الكونية بما ينطوي عليه من مظاهر الهيمنة والتسلط والاحتواء القسري لثقافات الآخرين، تضعنا أمام تحد كبير يحتم علينا تحديد موقفنا الذي ينسجم وعظمة فكرنا الإسلامي، والأسلوب الذي يكون لنا فيه دور فاعل في تركيبة هذا النظام العالمي، وذلك لن يتحقق دون العودة إلى آليات صنع التاريخ والحضارة التي نمتلكها، وإعادة تشكيل الوعي العربي الإسلامي بصورة تحقق النفع للإنسانية، وتحول دون استئثار هذا الطرف أو ذاك لفرض

نموذجه الثقافي على الآخرين، فهل لدى ثقافتنا من المقومات والفرص، ما يمكنها من تجاوز الأزمة التي تمر بها من جرّاء اصطدامها المباشر مع تحديات العولمة الثقافية، وإصرار الغرب على لجم أي محاولة تحديثية عربية أو إسلامية ووأدها في مهدها وعدم السماح لها بامتلاك ناصية التكنولوجيا وتوطينها، ولو في حدودها الدنيا؟ وهل نملك القدرة، أفراداً ومؤسسات، على إجراء عملية تركيبية مبدعة، تؤدي إلى قيام تركيب فكري جديد مستقبلي، يشكل إطاراً مرجعياً للسياسات الثقافية العربية والإسلامية ضمن تنوعاتها الإقليمية؟ وهل لدينا آليات ومناهج مناسبة تمكننا من ردم الفجوة بيننا وبين الأمم المتقدمة، وتحقق لنا ما نطمح إليه من الحداثة والإصلاح؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه في الجزء الآتي من هذه الدراسة.

أزمة الثقافة في العالم العربي والإسلامي:

من الحقائق التي ينبغي الاعتراف بها إن الدول النامية وعلى رأسها الدول العربية والإسلامية، لم تعر ثقافاتها المحلية ما تستحقه من رعاية واهتمام في العقود القليلة الماضية، وهذا عائد إلى ثقل مهماتها التنموية التي بدأت تنوء بحملها منذ بداية استقلالها، وتحررها من السيطرة الاستعمارية، فضلا عن الصراعات الدموية التي فرضت عليها، والتي عصفت بكيانها وحدَّت من قدراتها، مما جعل من قضية أمنها الوطني، أو أمن النخب الحاكمة فيها على رأس أولوياتها.

يدفعنا ذلك إلى القول إن ما نسميه بالثقافة العربية الإسلامية التي نخشى عليها اليوم من تحديات العولمة الثقافية لم تكن بالشيء المثالي الذي يمكن الدفاع عنه، أو التأسيس عليه، فالمثقفون كانوا يستشعرون الأزمة الثقافية والاجتماعية العميقة التي نمر بها قبل أن نصطدم بهذه التحديات، ولم يدخر أولئك المثقفون جهدا في تعرية الواقع، وسبر أغواره والوقوف على مظاهر الخلل فيه، وتحليل مكوناته التي تقف حجر عثرة في وجه اندماجه في دائرة الحداثة والإصلاح، غير أن هذه الجهود -للأسف- لم تنتقل من دائرة التنظير إلى دائرة التطبيق والممارسة، ولم توضع لها آليات وبرامج لتنفيذها مرحلة بعد أخرى.

ومن الطبيعي أن تتفاوت الآراء حول تحليل أسباب الأزمة التي نواجهها وتحديد مصادرها، والوقوف على مخاطرها وتأثيراتها في المجتمع باختلاف الخلفيات السياسية والأيدلوجية الذي ينطلق منها هذا المثقف أو ذاك، فمنهم من أرجعها إلى الاستبداد والتسلط الذي تسرب إلى ثقافتنا السياسية وسلوكنا الاجتماعي من العصبية القبلية والعشائرية التي عادت تتغلغل في حياتنا، على الرغم من أن الإسلام - بصفته قطيعة[١٥] معرفية واجتماعية مع العصر الجاهلي

الذي سبقه – وضع القبيلة في إطار تنظيمي جديد معرفياً واجتماعياً وسياسياً هو الأمة بصفتها كيانا مرجعيا حل محل الكيانات المرجعية السابقة [١٦]، ونجم عن ظاهرة الاستبداد في الحكم والتفرد في القرار أنماط سلوكية تراكمت في ثقافتنا العربية والإسلامية، فبرزت ظاهرة تطويع النصوص، وليّ أعناقها وحرفها عن مقاصدها لخدمة مواقف سياسية تكون غالباً منحرفة عن منهج الإسلام ومنطلقاته، وترسخت البنية الأبوية في المجتمع العربي والإسلامي التي تتميز -كما وصفها هشام شرابي- بالعصبية والنفعية المبنية على الخضوع لمدبر أو راع يتوحد مع الصورة النمطية للأب في الأسرة الأبوية القديمة، وهي أبوية تفضل الأسطورة على العقل، والخطابة على التحليل، والنقل عن الإبداع.[١٧]

لقد فرض هذا المنطق البطركي الأبوي السائد في ثقافتنا، أنماطا في السلوك السياسي والاجتماعي، ضاعف من حدة الأزمة التي نعاني منها، حتى أصبح الفكر العربي مأزوماً بالواقع والواقع مأزوماً بالفكر، وغلب منطق التسويغ، وتضخيم الذات لتبسيط الأمور والتهوين من آثار النكسات والهزائم المتوالية التي حلت بنا، فالذات العربية والإسلامية الفردية والجماعية على السواء تحس بثقل الماضي، وتستشعر عظمته، ولكنها- في الوقت نفسه - تحس في أعماقها بالعجز عن مجاراة الآخر، وهنا تأخذ الذات في اللجوء إلى آليات الدفاع والتسويغ من أجل العودة إلى حالة التوازن المفتعل ؛ لإن العودة إلى مجال الفاعلية الحضارية لا يكون بإلقاء التهم على الآخرين، أو باجترار مفردات ثقافية أدت غرضها في ظرفها الزماني والمكاني، وإنما بالتعامل مع معطيات العصر، والتفاعل مع إفرازاته بقسط كبير من الجدية والمسؤولية التي تفرضها علينا قيمنا الروحية والإنسانية.

وينبثق عن هذا المنطق التبريري القدري العاجز ظاهرتان أخريان تكرسان واقع التخلف والانحطاط، وتفرزان أنماطاً سلوكية وفكرية تترك بصمات مؤثرة على تفاصيل الحياة في المجتمع العربي والإسلامي وثقافته. فهناك ظاهرة التقديس الاختزالي للتراث " مع أن أصحابه لا يرون في أقوالهم وعلمهم إلا نوعاً من الاجتهاد البشري القابل للخطأ والصواب "[١٨]. وهناك ظاهرة الخلل في التوازن بين الثابت والمتحول، ونعني بالثابت تلك المبادىء الإنسانية التي ترتكز إليها ثقافة ما، وتشكل المحور الذي تدور حوله، أما المتحول فهو المنجزات المكتسبة من شتى المصادر مما يدخل في نطاق الاستعارة الحضارية المادية أو الفكرية [١٩].

والمسار الطبيعي لهذه العلاقة أن يقوم الثابت حال اتصافه بالقوة والنضج بهضم المتحول واستيعابه وإكسابه صورته وشكله وهيئته، أما إن عجز عن ذلك، وفرض على نفسه عزلة بوهم أنها تحميه من المؤثرات الخارجية، فسينجم عنه تشويه لكلا العلاقتين ؛ " لأن عوامل

التغيير(التحول) ستجد لها منفذاً تدخل منه مهما كانت جدران الحماية مرتفعة ، ولكن التداخل والتفاعل في هذه الحالة سيكونان مفتعلين، وينتج عنهما ثقافة مشوهة " (٣) لا تملك من مقومات الصمود ما يؤهلها لدخول ميدان المنافسة مع الثقافات الأخرى.

وهكذا يتضح لنا مما سبق أن علة التخلف عن ركب الإنسانية، والنكوص عن مجاراة الأمم الراقية في تقدمها العلمي والمعرفي والثقافي، تقود إلى خلل ملحوظ في أوضاعنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي ألمحنا إلى بعضها، ولم يسعفنا المقام في تحليل مظاهرها وتأثيراتها على المجتمع، ومع ذلك فمن المفيد أن نذكر أن نفرا من الباحثين يرون خلاف ذلك، فالعلة- في رأيهم- إنما تكمن في آلية العقل المنتج للثقافة المتصورة نموذجيا والممارَسة عمليا، فالثقافة هي التي تحدد معايير التفكير والسلوك وحدودها، وبالتالي إذا كان العقل عمليا فلا بدّ أن يكون نتاجه كذلك، والنقد الموجه لأوضاعنا المختلفة لن يكون له قيمة ما لم يكن منطلقا من آلية متجددة وقادرة على مجاراة ثقافة العصر، ومواكبة التطور في مختلف الميادين.

وأيا كان الأمر فإن الواقع المأزوم للثقافة العربية والإسلامية وما واكبه من تدهور في أوضاعنا الاقتصادية والتنموية، وجمود وتراجع في الحضور السياسي والثقافي على الساحة الدولية، ولّد في نفوس أبناء الأمة، ولا سيما في قطاع الشباب، شعوراً مريراً باليأس والإحباط والخطر على مجمل الأوضاع المعيشية والاجتماعية السائدة، مما يستدعي القيام بحركة نقدية معرفية للثقافة والعقل الذي ينتجها، ويلح على المشتغلين بالهم الثقافي، أن يبادروا للكشف عن فرص الخروج من هذه الأزمة، ومواجهة التحديات المفروضة علينا بروح علمية، ومنهج قائم على التحليل والتفسير لفهم الواقع وإعادة تشكيله بصورة تتناغم مع رسالتنا السماوية ببعدها الإنساني العالمي ومنهجها الوسطي القائم على العدل والإنصاف والتسامح.

مستقبل التغيير والتجديد في الثقافة العربية والإسلامية

عرضنا فيما سبق لمحات موجزة عن التحديات التي تواجهها ثقافتنا العربية والإسلامية في ظل العولمة، وما تركته من بصمات على الواقع الثقافي جعلت منه واقعا مأزوما لعل من أبرز سماته تشتت الخطاب الإصلاحي، وعجزه عن إيجاد الحلول المناسبة للأزمات الحضارية والمشكلات الثقافية، " فنحن نقف اليوم أمام تيار كاسح جارف مندفع لا نملك إزاءه إلا التعامل معه بحكمة ويقظة، لأننا لا نمتلك شروط المواجهة معه، ولم نتهيأ لمواجهته، فمنظوماتنا الثقافية التي نحاول حمايتها ليست شيئا واضحا وملموساً، بل هي هلامية الشكل، نخبوية الإنتاج والاستهلاك، قائمة على بنية لفظية أو بيانية أكثر منها عملية وعلمية محسوسة " [٢٠].

ونتيجة لذلك سادت هذه الثقافة طوابع الاستبداد، والتجاذب الطبقي والطائفي، والرتابة الفكرية والقهر المعنوي، والاكتئاب الخطابي، الذي يبعدنا عن قضايا حيوية وجوهرية نحن بأمسّ الحاجة لتناولها والتوقف عندها بالحوار والمناقشة، كما سادتها حالة من الفصام تحول- كما وصفها أحد الباحثين- " دون رؤية الواقع على علاته، وتجعلنا نرى في العالم المحيط بنا ما نريد أن نراه فحسب، وندرك ما يهيأ لنا أنه العالم " (٢١)، في محاولة نفسية تعويضية تضخم الأنا على حساب الآخر، مع أن هناك فرقاً كبيرا في إمكانات العمل وتفعيله يفصلنا عنه، وهناك من المعوقات الداخلية والخارجية ما يحول دون وصولنا إلى وضع الفاعلية والتأثير في الحضارة العالمية.

فالأفضلية-إذاً- لا تتحقق بمجرد الاعتقاد أننا أفضل الناس، وأننا خير الأمم في الوقت الذي تنشغل فيه الأمم والشعوب المتقدمة بالعلم والتكنولوجيا والتصنيع، بينما نحن قابعون في دائرة الجمود والاستكانة، منغمسون في حلقات لا تنتهي من الجدل والتنظير حول قضايا الأصالة والمعاصرة، والنهضة والتخلف، والتبعية والتقليد، مع إهمال واضح لمدركات ثقافتنا الأصلية ومقرراتها.

من هنا تبرز الحاجة إلى منظومة ثقافية جديدة تجمع في إطارها بين الأصالة والتجديد، وتحدد لنا تلك العلاقات التي تربطنا بأنفسنا وبالعالم من حولنا، وتمهد الأرضية المناسبة لتدعيم نواتنا الذاتية والانطلاق إلى المستقبل بكل تحدياته وألغازه، وما يحمل من جديد وفق رؤية شمولية تعمل على تجديد الذات، وبناء الأجيال، والتواصل مع الماضي بكل إرثه الحضاري دون الانقطاع عن الحاضر بكل تفاعلاته العلمية والتقنية (٢٢)، وما يفرزه مجتمع المعرفة من قيم جديدة في الإصلاح والتجديد.

وإذا كان المستقبل المنشود مرهوناً بوضوح معالمه، وتحقق شروطه ومعاييره، وعلى رأسها الإقرار بالخلل، وتلمس أسبابه وعوامله، والسعي لتجاوزها وتغييرها، فإن هذا يقتضي رسم سياسة واضحة لبناء ثقافة التغيير، وإعادة هيكلتها بصياغة تخلو مفرداتها من عبارات الوعظ والتبشير والإرشاد والجدل العقيم بين أصحاب التوجهات الفكرية والأيديولوجية المتعارضة، بل من خلال برامج عقلانية طويلة الأمد، يتحقق فيها التوازن بين الذات والآخر، وتتفاعل في مكوناتها الرؤى والتصورات والتيارات الفكرية المختلفة دون إقصاء أو تهميش مع الابتعاد عن المزاجية والذاتية في القراءة والتحليل.

ولعل الخطوة الأولى التي نخطوها في هذا السبيل القيام بنقد علمي يساعدنا على تشخيص الواقع وتحليله، ومراجعة ما هو رائج بيننا من آراء ومواقف، وممارسات سياسية وفكرية في

ضوء التحولات الحضارية والثقافية المعاصرة، الأمر الذي يستوجب تحرير العقل، وتنظيم فعله، ومن ثم التخطيط لعمل بنيوي أساسي في إطار المتطلبات الوطنية والتطلعات العربية والإسلامية والأهداف الإنسانية، مع إدراك واع لموقعنا في التاريخ، وفي العصر، ومعرفة ما نتوق لتحقيقه في المستقبل القريب والبعيد.

إن الواقع يضغط على النخب المثقفة في العالم الثالث عموما والبلدان العربية والإسلامية خصوصا من أجل إعادة النظر في القنوات الثقافية، وتشخيص إشكاليات الخطاب الثقافي، والاستعداد لمواجهة أخطار الثقافة الاستهلاكية الغربية، ووضع الحلول والبدائل والأسس الفكرية للطفرة الحضارية النوعية التي تحتاجها الأمة في هذا العصر، دون تفريط بالقيم الروحية والقومية والإنسانية التي تصوغ ذاتها وهويتها وتغني عطاءها الحضاري، وتعيد الثقة والأمل في نفوس أبنائها بعد ما أصابها من الهزائم والنكبات، مما يعطي المشروع النهضوي قوته المعنوية. وإطاره العقلاني والحضاري الذي يعد أول المكونات الحاسمة لبناء ثقافة التغيير.

وإذا كان التغيير الثقافي، أو ما يمكن تسميته بالإصلاح والتحديث، يستدعي خطابا تجديدياً واعياً مؤسساً على النقد والتحليل، فمن غير المقبول عقلاً وإدراكاً وضع المحظورات في وجه هذا الخطاب أو التمويه على مضمونه ومنطلقاته، بل إن الضرورة تقتضي كشف الحقائق، وإزالة مواطن اللبس والتصدي لها بحس نقدي موضوعي، وضمن منهجية علمية مسبقة تستوعب الخلاف في الرأي، والتعددية في التوجهات الفكرية والأيديولوجية والتعامل الإيجابي معها وصولا إلى تبني آليات جديدة تنطلق أساسا من القوى المغيبة للأمة ومن مقوماتها الذاتية، لترسم مسار مستقبلها مع ما يتطلبه ذلك من خطط وبرامج تتسم بالشمولية والتكامل والقابلية للتطبيق بهدف الاندماج في العصر، والإسهام من موقعنا الثقافي والحضاري في بناء عالم جديد، قوامه العدل والسلام، والتعايش والتسامح والتعاون الإنساني في إطار القانون الدولي، وتحت مظلة الشرعية الدولية التي تتناقض مع نزعة الهيمنة والاستئثار والتحكم الأحادي.

متطلبات التغيير الثقافي ووسائله

إذا كان الاجماع منعقداً بين الباحثين على أن أمتنا لم تندمج بعد بشكل فاعل ومؤثر في عصر الحداثة، وأننا ما زلنا– على الصعيد الثقافي– نعاني من أوضاع شاذة تعوق مجتمعنا عن مواكبة التطورات والتغيرات المادية والتقنية كما تجلت في عصر الثورة المعلوماتية، فإن هذا التخلف يقتضي تغيير الرؤى والأفكار، وما يرتبط بها من نظم اجتماعية، وتبديلها بأخرى

تكون مبنية على رؤية بعيدة للمجتمع، كيف نريده؟ وكيف ينبغي أن يكون؟ دون أي تشويش أو خلط أو تمويه، أو تزييف، وهذا يعني مبادرة المتخصصين من المثقفين والباحثين إلى وضع استراتيجية مستقبلية للتنمية الشاملة تعي الماضي بإشراقاته وثغراته، وتدرك الراهن ومتطلباته، وتستشعر المستقبل وتستقدمه بمجسات شديدة الحساسية والإبصار وفق مقتضيات ثلاثة:

الأول: قراءة الماضي أو التراث العربي والإسلامي، "وإعادة تأسيسه في وعينا، وإعادة بنائه تراثاً نحتويه بدل أن يحتوينا" (٢٣)، ولا نعني بالتراث القيم الدينية والمعتقدات الإيمانية، بل ما نعنيه منجزات السلف وما قدموه من إسهامات في مجالات الحضارة الإنسانية، وهي إنجازات ليس لها – بطبيعة الحال- قداسة المبادىء الدينية والمرتكزات العقدية أو ديمومتها، بل تصطبغ بالصبغة البشرية، وتخضع لقانون التقويم والاختبار، وهذا ما يساعدنا على حل كثير من الإشكالات المتعلقة بمسألة التراث، وكيفية الإفادة منه في تقويم الحاضر والتخطيط للمستقبل.

الثاني: استشراف المستقبل، واستكشاف حركته بوضع الاستراتيجيات الثقافية الكفيلة بتخطي مجاهله، وتعرجاته وتقلباته الحادة. ومن المؤكد أن حضور سؤال المستقبل في أية ثقافة هو الدليل على حيويتها وقابليتها للتطور وقدرتها على التقدم، وتحقيق الذات في عالم تتصارع فيه القوى، وتتنافس بعنف يبلغ حد القسوة لامتلاك أدوات المعرفة والتصرف فيها.

الثالث: الفهم الواعي لحقائق العصر ومتطلباته، وذلك عن طريق الاجتهاد الذاتي لتحديد شكل التغيير المنشود وأبعاده وأهدافه ووسائله وأدواته ومن الذي يقوم به؟ وكيف؟ كل ذلك مع احترام لثوابتنا وثقافتنا ومصالحنا، وقديماً قيل: إعرف نفسك أولاً، فمعرفة النفس، وتحصين الذات شرط لمواجهة الآخرين، وكسب معركة الحضارة، وهذا ما عناه الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم- حين نبهنا إلى أن الجهاد الأكبر جهاد النفس وبناؤها وتحصينها، فهو لذلك يحتل المكانة الأرفع من بين أنواع الجهاد الأخرى على مالها جميعا من قداسة.

هذه العناصر الثلاثة تشكل الأرضية التي ننطلق منها في سعينا لتحقيق الحداثة، والتناغم مع معطيات العصر والتفاعل معها والانخراط في المتغيرات السائدة، والتعايش معها انطلاقاً من مقوماتنا الذاتية التي تؤهل الأمة حال استثمارها بشكل صحيح لأن تشكل قوة ليس على الصعيد الاقتصادي فحسب، بل على المستوى الحضاري عامة. وما دام حديثنا يتصل بالأوضاع الثقافية، فإننا لن نتعرض للمقومات الاقتصادية والاجتماعية، بل سنتناول المقومات التي لها صلة بالثقافة وأبرزها:

١- القوة الروحية

تعتمد الثقافة العربية والإسلامية على قوة روحية ذات تأثير عالمي متمثلة في الدين الإسلامي الذي قدم صورة مثلى للثقافة والسلوك الإنساني، فقد سبق الإسلام سائر الثقافات في معالجة أعقد قضايا المعاش والأخلاق، وكان له دور مميز في تحديد اتجاهات التطور للمجتمعات الإنسانية بصفة عامة وليس الإسلامية وحدها. أما على المستوى الفردي، فقد بين الإسلام للإنسان معنى وجوده، وكرَّمه: (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر)[٢٤]، ويسَّر له سبل العلم، ورغَّبَهُ فيه، وحث على النظر والتفكير والتماس الحكمة أيا كان وعاؤها ومصدرها: (الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها)[٢٥] مما يشكل سندا قوياً لمن يقول بإمكانية التحديث في إطار من الالتزام الديني والأخلاقي. وقدم الإسلام في المستوى السياسي رؤية رائدة في تنظيم علاقة المجتمع بالدولة وفق الرشد المؤسس على قواعد الشورى، وقوامة المجتمع على الحكام، وقدّم في مجال الحقوق الإنسانية والحريات الفردية والجماعية بالنص والتجربة كليهما نماذج غير مسبوقة في التاريخ في اقتلاع الموانع أمام الحرية، وفي محاصرة الرق، وإزالة المظالم عن المرأة والضعفاء في المجتمع، وفي تحقيق العدالة الاجتماعية.

وهكذا أتاحت مناهج الإسلام النظرية وتجاربه العملية فرصة لانعتاق البشرية وتحريرها، وقد صاغت جملة التجارب تلك نموذجا فريدا للتحديث بمقاييس عصرها، وقد نجح ذلك النموذج في مقاربة المشكلات الإنسانية بقدرته على المواءمة بين مقتضيات الحداثة، وتعاليم الدين، فجمع بذلك بين طاقة الدفع التي يوفرها الدين، واتجاهات الدفع المتجددة التي يوفرها التحديث " [٢٦]. ولم تقتصر هذه الظاهرة على العصر الذي أنزل فيه الإسلام، بل إن لدى المسلمين اليوم فرصة ثانية لقيادة الحوار العالمي، ولطرح قضية التحديث من منظورهم ومعطياتهم، بل " تتيح لهم الفرصة كي يتفوقوا في طرح مضامين جديدة للتحديث نابعة من تعاليم دينهم، تدعو إلى تحرير الإنسان بمنهج العلم، وقيم الخير في عالم تسوده دورة متجددة من الطغيان والعدوان والظلم " [٢٧].

٢- الوسطية والاعتدال

وهي قاعدة منبثقة من قوله تعإلى: " وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً " [٢٨]. وتعد هذه القاعدة بمثابة ناموس يحكم الفقه الإسلامي في العبادات والمعاملات، وفيها توجيه رباني صريح للمسلمين باعتماد ثقافة التسامح والمحبة والصدق والتعاون والاعتدال بدلا من ثقافة الغلو والتطرف. وإذا كان العنف مبرراً في حال

الدفاع عن النفس، وعن البلاد والأوطان، فإنه غير مبرر ضد المدنيين الآمنين، " ولهذا يطالب المسلمون عامة، وأهل العلم والرأي منهم بخاصة بتيسير الأحكام الفقهية، وتجديد بعضها على قاعدة (تتعدل الأحكام بتبدل الأزمان)، وذلك وصولا إلى التحرر من العصبية المذهبية، وقبول الآخر المختلف جزئياً وسياسياً " (٢٩) وحتى عقديا، طالما أنه لا يتعدى على المسلمين وبلادهم وأملاكهم.

٣- التعددية والتنوع الثقافي

إذا كانت الجغرافيا تصنع التاريخ، فإن الجغرافيا والتاريخ معاً يصنعان الثقافة، وتتصف الجغرافيا في العالم العربي والإسلامي بالتنوع والتكامل والانفتاح، مما انعكس على ثقافته التي بلغ تنوعها وتباينها أحياناً حد التعددية حتى في داخل الوطن الواحد، وهي خاصية فريدة ومميزة تكاد تكون فريدة في التاريخ الثقافي الإنساني.

وهذا يتناغم- بطبيعة الحال- مع رسالة الإسلام العالمية الذي يعترف بهذا التنوع، وينظر إليه باعتباره حكمة من حكم الله تعالى وآية من آياته، وناموساً من نواميس الكون أودعه الله تعالى في الذات الإنسانية، فقد خلق الله الناس وجعلهم مختلفين في أعراقهم وأنسابهم وأقوامهم ومللهم "ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين" (٣٠)، ولكن -الله تعالى- دعاهم إلى أن يتعارفوا ويتعاونوا على ما فيه خير الإنسان ليلتقوا جميعاً في دائرة العالمين (٣١)، على أساس الاحترام المتبادل والمحافظة على التنوع الثقافي، وتدعيم روح المواطنة والعيش المشترك بعيداً عن أي تعصب أو تطرف أو طغيان. وهذا هو الفارق الأساس بين عالمية الإسلام، والعولمة القائمة على تعظيم الأرباح ونهب الثروات، وتغليب منطق الاستحواذ والاستئثار على قيم التفاهم، ومركزية الخير والمحبة بين الشعوب. (٣٢)

٤- الرصيد الحضاري

إن الميزة النسبية لمجتمعات المسلمين تتمثل في رصيدها الحضاري الهائل، وتجاربها التاريخية الناجحة، وإسهامها الفاعل في إيجاد حلول لمشكلات البشرية لفترة ثمانية قرون أو يزيد، كانت الحضارة الإسلامية هي السائدة في الساحة العالمية. وهذا لا ينفي بطبيعة الحال وجود إخفاقات ومظاهر خلل عديدة رافقت هذه المسيرة، وكان لها تأثير بالغ الأثر في إعاقة تقدمها في بعض المراحل التاريخية، وهو أمر يدخل في صميم التطور الحضاري للمجتمعات الحيَّة وقواها الفاعلة التي تملك القدرة على استلهام هذه التجارب والإفادة منها.

ولا شك في أن استدعاء هذه الحقيقة لتكون ماثلة أمام أعيننا على الدوام يملأ نفوسنا طاقة معنوية كبيرة تنفلت بها من إسار السلبية، وفقدان الثقة التي تميز استجابتنا الراهنة لكل قضايا الحداثة التي أصبحت من أهم قضايا الحوار بين الثقافات ؛ لأنها-بحق- قضية مشتركة فيما بينها سواء في منطلقاتها النظرية، أو تبدياتها العملية " [٣٣]

إن هذه المقومات التي أشرنا إلى بعضها آنفاً كفيلة بإعادة الثقة إلى الإنسان المسلم، ومنح شخصيته قسطاً وافراً من التوازن والثبات في مواجهة محاولات الاستلاب والتشويه الذي تتعرض له ثقافته بمختلف الصور والأساليب. ذلك لأنها تشعره على الدوام بأن ثقافتنا الذاتية ليست بذلك الضعف الذي يجعلنا نخشى عليها من أي تغيير يصيبها، وكأنها طفل صغير لا يعيش بغير وصاية، وإنما هي قادرة، بمقوماتها الذاتية الصلبة وخصائصها المتفردة ورصيدها الحضاري، على البقاء والتفاعل مع متغيرات العصر، بل التنافس مع سائر الثقافات لخدمة الإنسانية جمعاء، وتقديم أفضل الحلول التي تضمن للبشرية سعادتها وتحررها من أغلال الهيمنة والتسلط والاستئثار.

ومع ذلك لا بدّ أن نضع في حسابنا أن توافر القدرات الكامنة في الأمة، وصلابة مقوماتها الذاتية التي تؤهلها ثقافتها للصمود وعدم التماهي في الثقافات الوافدة، لا يغني-مع أهميته- عن المبادرة السريعة والعاجلة لتجديد هذه الثقافة، وإعادة صياغتها حفاظاً على كينونتها في عالم لا يرحم، وتحولات لا تعرف الوقوف. وهذا يقتضي -كما ألمحنا سابقاً - وضع استراتيجيات مناسبة لمشروعنا الفكري والثقافي قابلة للتطبيق والتنفيذ، على أن تحدد فيها آليات النهوض ووسائله ومتطلباته بما يتلاءم مع طبيعتنا وحاجاتنا المستقبلية.

وسأحاول في ختام هذه الدراسة المتواضعة إبراز أهم المتطلبات والوسائل التي تحثنا على إنجاز عملية التحديث، واستيعاب مفرداته، وضمان تجاوبه مع الخطاب الإنساني العالمي، لتصبح ثقافتنا في نهاية المطاف - كما كانت - غنية المحتوى، متعددة الروافد، متنوعة المصادر، ذات روح واحدة وهوية متميزة متفردة.

١- شحذ الفعالية الروحية في الفرد والأمة:

وهذا يستدعي تربية النشء على المفاهيم الإسلامية، وغرس روح العقيدة الإسلامية في نفوسهم، ولن تنجح هذه المهمة باجترار الماضي فحسب، أو بالأسلوب الوعظي التلقيني الذي يتسم خطابه بالفوقية والاستعلاء، واحتكار الحقيقة، ومحاولة فرضها بالغصب والإكراه، بل لا بدّ من اللجوء إلى صيغ جديدة في الدعوة الإسلامية تقرب تعاليم الإسلام من نفوس

الشباب، وتحصنهم من خطر الوقوع في شرك المخططات التي ترمي لتدمير بنياتنا الثقافية، ومكونات هويتنا الإسلامية، وتفجر طاقاتهم الروحية وتنفض عن عزائمهم غبار الكسل والجمود والتواكل، ليصبحوا - بإمكاناتهم الروحية والمادية - مستعدين للعمل والإنتاج والابتداع، بدل أن تحولهم ثقافة الاستهلاك إلى طاقات معطلة تعاني من وطأة الفراغ والبطالة ويسيطر عليها الإحساس بالقلق والتوتر، والشعور بالإحباط والضياع مما يفاقم الوضع المزري الذي تعيشه أمتنا في الوقت الراهن.

٢- العمل الجاد لبناء الإنسان:

يعدُّ بناء الإنسان وتأهيله أفضل استثمار بشري في الدول المعاصرة، ولهذا يحرص المخططون التربويون في هذه الدول على إعداد البرامج والخطط التي تكفل تربية النشء على قيم الحرية والمسئولية والشجاعة والمواطنة الصالحة، وإعداده ليكون عنصراً فاعلا مؤثرا في مسيرتها التنموية، ويبدو أن هذا المنحى لم تتضح معالمه بعد في العالم العربي والإسلامي، فما زالت خططنا التربوية ومناهجنا- رغم الجهود الكبيرة التي تبذل في هذا السبيل- متعثرة، وما زال أبناؤنا سائرين في تقليد المظاهر الزائفة، والأنماط السلوكية الشاذة دون حماية أو توجيه، وهذا يحتم علينا إعادة التفكير في هذه الخطط وتفعيلها، آخذين في الحسبان أن الطريق إلى التقنية لا بد أن يمر بمرحلة تفجير الطاقات العلمية عند المبدعين، ورعايتهم علميا وتشجيع العلماء وأصحاب الاختراعات والاكتشافات العلمية، وهي خطوة تحتاج إلى جهد ومجاهدة، وتتطلب مزيدا من العزيمة والإصرار حتى ننتقل من مرحلة الاستهلاك للمنتجات الغربية إلى مرحلة الصناعة، وإنتاج التكنولوجيا وتوطينها.

٣- الاعتماد على الذات:

يشكل الاعتماد على الذات والانطلاق من المقومات الذاتية للفرد أو الجماعة عاملاً مهماً، بل شرطاً رئيساً من شروط النهضة والتقدم، فالأمة التي لا تثق في قدراتها، ولا تقدر إمكاناتها الذاتية حق قدرها لا يمكن أن تكون سوى ظل للآخرين، وتابعة لهم من باب ما يسمى بالتسول الحضاري، وقد ثبت من التجارب التنموية التي خاضتها دول عديدة في الماضي مثل: اليابان وكوريا الجنوبية وماليزيا، وفي مرحلة متأخرة الهند وإيران، أن التقدم لا يمكن أن يستورد من الخارج، بل هو عمل داخلي ينمَ عن صيرورة تغييرية تتضافر فيها العديد من العوامل الاقتصادية والسياسية والثقافية، فلا مناص -إذاً- من تقوية هذه العوامل والقوى الذاتية،

وإطلاقها والرفع من مناعتها ضد الذوبان والسقوط في هاوية التبعية والتقليد.

٤- الوحدة والتكامل

إذا كانت المركزية الأوروبية التي تمتلك دولها مفاتيح التكنولوجيا والثورة المعلوماتية المعاصرة تتجه إلى تشكيل تحالفات أو تجمعات جبهوية، وأطر وحدوية لرفع مستوى أدائها الاقتصادي، وتعزيز قدرتها التنافسية، وخلق كيانات اقتصادية عملاقة ذات طاقات عالية[٣٤]، فأحرى بالدول العربية والإسلامية التي تربط بينها وشائج عديدة تعزز مقومات وحدتها المادية والمعنوية، كالدين واللغة والتاريخ والجغرافيا والرؤى والتصورات الثقافية المنبثقة أساساً من العقيدة الإسلامية " أن تعمل على إعادة المشاريع الوحدوية السياسية والاقتصادية، ولكن على أسس جديدة وبرؤى جديدة بإضفاء البعدين الديمقراطي والاقتصادي على هذه المشاريع "[٣٥].

وما يحز في النفس أن الأقطار العربية والاسلامية التي تجد نفسها في مواجهة مفروضة عليها من طرف الدول الرأسمالية تتجه إلى الانكفاء على نفسها، وإقامة الحواجز فيما بينها في وقت تتعالى فيه أصوات الداعين إلى العالمية والانفتاح على الآخرين.

من هنا يتوجب على النخب الحاكمة في هذه الدول أن تخفف من غلواء القطرية المنغلقة على ذاتها، وأن تتجاوز الخلافات المصطنعة والحساسيات المفتعلة، وأن تعمل بكل السبل لتقوية التعاون وتعميق التضامن العربي والإسلامي، وتحقيق الحد الأدنى من التعاون والتنسيق خدمة للمصالح المشتركة ودرءاً للأخطار التي تهدد الأمم العربية والإسلامية، وتسعى إلى تهميش دورها في الساحة الدولية، وإسهامها المنتظر في الحضارة الإنسانية الجديدة، ولعل أبرز أوجه التعاون المقترحة بين الدول العربية والإسلامية في المجال الثقافي، التخطيط لإقامة تحالف دولي مناهض لنزعة الاستعلاء والسيطرة التي تسعى بعض الدول لفرضها على العالم بالقوة والإكراه بهدف طمس الخصوصيات الثقافية والحضارية للهويات الوطنية للأمم والشعوب في المدى القصير والبعيد. ويبدو أن الأرضية التي ينطلق منها هذا التحالف موجودة ومهيأة في كثير من دول العالم، بل إنها تتسع بشكل متصاعد حتى في الدول المتقدمة نفسها التي لا يفتأ قادتها والمثقفون فيها يحذرون من تبعات الغزو الثقافي وخطورته على مستقبل الثقافة في بلدانهم.

٥- الانفتاح على الثقافات العالمية

إن التحديات المصيرية التي أصبحت تشغل الإنسان المعاصر تتعلق بركيزتين أساسيتين لاستمرار الحياة: التنوع البيولوجي، والتعدد الثقافي، فالتجانس الثقافي هو بمثابة إبادة ثقافية، وانقراض للإنسان ثقافياً، الأمر الذي لا يقل خطورة عن اختلال التوازنات البيئية في العالم، فالمجتمعات الإنسانية تتباين في قيمها وعقائدها وثقافاتها وتراثها، حيث بات من المستحيل تنميط ثقافة هذه المجتمعات وحضارتها على نموذج واحد، وبات استئصال الأمية، وتوعية الشباب، يمثل حجر الزاوية في التأسيس لمجتمع يخدم التنوع الثقافي، ويعزز الحوار بين الثقافات المكونة للمجتمع (٣٧).

إن مستقبل الثقافات لا يكون في الانطواء داخل أسوار التقليد والجمود، ولا بالتماهي والذوبان مع حضارة الأقوى، فالسياسة الثقافية المنفتحة والواثقة من نفسها، هي التي تشجع النشاطات المتعددة الثقافات، وتتوجه بغير تردد إلى ممارسة ثقافة التواصل النشط مع الآخر؛ ذلك لأن المبالغة أو المغالاة في الدفاع عن الوحدة الثقافية برفضها كل مصادر التنوع، تؤدي إلى انغلاق الفكر، وتدهور القوى الخلاقة المبدعة، وإلى العزلة الثقافية مما يؤدي إلى النكوص والتراجع والتدهور "، فالعزلة هي المسئولة عن غياب الصوت العربي، والصوت المسلم عن الساحة الإعلامية والثقافية في الغرب، وهو غياب زاد من خطورته أن أطرافاً أخرى نعرفها جيداً قد استثمرته في خلق صورة بالغة السوء والسلبية لكل ما هو عربي وإسلامي، حتى أوشكت هذه الصورة السلبية أن تكون عنصراً ثابتاً ومستقراً في العقل الغربي، وعلى أساسها تحددت مواقف كثير من الناس في الغرب من العرب والمسلمين.

ولكي نتلافى هذه الحالة المزرية، ينبغي أن نبادر إلى تجديد خطابنا الثقافي وتطويره، بحيث يتلاءم مع روح العصر من أجل خدمة الهوية الإسلامية، ودعوة الناس إلى التعرف إلى حقيقة الدين الإسلامي من خلال القنوات الفضائية، وشبكات الاتصال العالمية، والوسائل التكنولوجية الأخرى التي ينبغي أن نعمل جاهدين على توطينها، وامتلاك ناصيتها؛ لأن الانفتاح على العالم لن يؤتي أكله، أو يتحقق المأمول منه دون الاستعداد الموضوعي للارتقاء إلى مجتمع المعلومات، وكسر حدة الانبهار بالغرب، ومقاومة قوة جذبه برده إلى حدوده الطبيعية من خلال الندية والتكافؤ في امتلاك ناصية المعرفة، وإعادة إنتاج المتطلبات المادية والثقافية، ذلك لأن التفاعل الإيجابي المثمر إنما يجري بين طرفين أو أكثر يتمتعان بالقوة والقدرة على التأثير وعلى العطاء، ويصعب أن يتحقق ذلك إذا ما كان طرف من الأطراف غائباً أو ضعيفاً أو متهالكاً تتوافر لديه القابلية للاحتواء والذوبان في ثقافة الآخرين.

٦- تجسير الهوة بين المثقفين وصناع القرار

من الظواهر اللافتة للنظر أن الجهود التي يبذلها الباحثون في العالم العربي والإسلامي ، ويقدمون فيها عصارة أفكارهم ، وما تفتقت عنه أدمغتهم في حقول المعرفة المختلفة سواء في المؤتمرات العلمية التي تناقش فيها قضايا في غاية الأهمية ، ويحشد لها العلماء والباحثون من كل صوب ، أو من خلال مؤلفاتهم العلمية ، لا تجد طريقها – للأسف- إلى أرض الواقع ، ولا يحفل بها صناع القرار في بلادنا ، وكأن هناك خصاماً بين الباحث والمسؤول في حين تعتد الدول المتقدمة بباحثيها ، وتوفر لهم كل الإمكانات لإجراء أبحاثهم ، بل إن مراكز الأبحاث في هذه الدول هي التي توجه سياسة الدولة ، وترسم خططها للحاضر والمستقبل .

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو : ما الذي يجعل أصحاب القرار مضطرين إلى الاهتمام بما يكتبه المثقفون؟ وكيف تجد أبحاثهم طريقها إلى التوظيف والتطبيق في مجالات الحياة المختلفة؟ لكي يحصل ذلك لابد من شرطين :

" الأول : أن يجد السياسي فيما يكتبه المثقفون جدوى وضرورة ، ولن يتأتى ذلك إلا إذا كانت كتابته خبيرة وموثقة ، وتحمل الجديد في مضمونها .

والثاني : إيجاد رأي عام قوي متشبع بقيم الحداثة يسند المثقف ويحميه ، ويشكل عاملاً ضاغطاً على أصحاب القرار كي يأخذوا بآراء المتنورين من أبناء شعبهم دون إقصاء أو تهميش "[٣٨] .

من أجل ذلك ينبغي على المثقفين حاملي الحداثة أن يناضلوا من أجل حرية الثقافة ، وحرية إبداء الرأي ، وإقامة نظام ديموقراطي كي يتسنى لهم ممارسة دورهم في الكتابة والنقد والإبداع ، كما ينبغي أن يكون[٣٩] دون وصاية من أحد ، أو توجيه يحرف مسار قناعاتهم وحقيقة مواقفهم تزلفاً واستجداء لهذا الطرف أو ذاك من أرباب السلطة والحكم .

وفي الختام ، يجدر بنا أن نتذكر الوصف الذي أطلقه السيد عمرو موسى الأمين العام لجامعة الدول العربية على المثقفين حيث قال : " المثقفون اليوم هم جنرالات المعركة المقبلة وقادتها ومحددو نتائجها . لقد بات عليهم من الآن فصاعداً القيام بدور محوري في معركة الدفاع عن الأمة وحضارتها "[٤٠] .

ومع ذلك يبقى السؤال عن دور المثقفين في بلادنا معلقاً ، وحبذا لو كان جوابهم في هذه المرحلة المصيرية من تاريخ أمتنا عملياً ، تتجسد فيه روح المسؤولية والمبادرة لإعادة الوعي بقيم المواطنة ، وتجسيدها واقعاً حياً في المجتمع وفق مبدأ العدل والمساواة ، وإشاعة الحرية وكرامة الإنسان من أجل بناء النهضة ، وتحقيق الحداثة على أسس ديموقراطية سليمة وموضوعية .

الهوامش:

(١) عبد الله عبد الدايم، في سبيل ثقافة عربية مستقبلية، مجلة شؤون عربية، عدد ٨٩، آذار، ١٩٩٧، ص: ٥٥.

(٢) ذكر أحد الباحثين أن عالِميْ الانثروبولوجيا الأمريكيين (كلوكهن) (وكروبير) عرضا أكثر من ١٥٠ تعريفاً للثقافة، ثم اعترفا بعد ذلك انهما لم يجدا في أي منها تعريفاً شاملاً وخالياً من النقص. أنظر، أحمد دعدوش، إشكاليات الثقافة في عصر العولمة، الصفحة الإلكترونية www. saaid. net وللإطلاع على بعض تعريفات الباحثين العرب للثقافة انظر، تركي الحمد، الثقافة العربية في عصر العولمة (بيروت: دار الساقي، ١٩٩٩) ص: ٦٦، ٣٦، وذكر فيه ان الثقافة هي مجمل المعتقدات، وما ينبثق عنها من سلوك وعلاقات تشكل وعي الأمة بذاتها، أو روحها- بالمفهوم الهيجلي - التي ترتبط عادة بمفاهيم عزيزة على الفرد والجماعة، "وهو ما عبر عنه ألبرت أينشتاين بقوله: "شطر الذرة وتجزئتها أسهل من اقتلاع حكم مسبق من عقل الإنسان". انظر، داريوش شايغان، النفس المبتورة هاجس الغرب في مجتمعاتنا (لندن، دار الساقي، ١٩٩١) الفصل الرابع، ص: ٦

(٣) انظر عبد الله موسى، رؤيتنا الثقافية وتحديات العولمة، مجلة النبأ، عدد ٢٩ السنة الرابعة، ١٤١٩هـ، في الصفحة الإلكترونية www. anabaa. org

(٤) اتظر د. أحمد برقاوي، نحو تحديد فلسفي إنساني لمفهوم الثقافة العالمية، مدخل ميثادلوجي، من كتاب، صراع حضارات أم صراع ثقافات، تحرير، د. فخري لبيب (القاهرة: مطبوعات التضامن، ١٩٩٧م)، ص: ٢٥٨.

(٥) عبد الإله بلقزيز، العولمة والممانعة دراسة في المسألة الثقافية، سلسلة المعرفة للجميع عدد ٤ (الرباط: منشورات رمسيس، فبراير)، ١٩٨٩ فبراير، ص: ٧٢

(٦) سمير أمين، تحديات العولمة، مجلة شئون الشرق الأوسط مركز الدراسات الاستراتيجيات والبحوث والتوثيق، بيروت ع ٧١، ١٩٩٧ ص: ٨٩.

(٧) تشير الدراسات التي أجريت في بلدان عديدة أن وسائل الإعلام الأمريكية نجحت في إحلال قيم جديدة في قطاعات كبيرة من الشباب ولا سيما في الدول النامية محل القيم والعادات والتقاليد السائدة، ومن ذلك التأكيد على قيمتي المنفعة والمادية والمصلحة الفردية، وشيوع العنف والميل إلى العدوانية على حساب الصفح والتسامح والتضحية والإيثار ومنها إباحة الحرية الجنسية قبل الزواج، والميل إلى الاستهلاك، والهوس بتقليد الأزياء الغربية، وإضعاف التماسك الأسري والروابط القومية والدينية. لمعرفة المزيد من تأثيرات البث الفضائي والإلكتروني الوافد أنظر د. باسم خريسان، العولمة والتحدي الثقافي (بيروت: دار الفكر العربي، ٢٠٠٠ مص: ٥٥، د. عبد الإله بلقزيز، العولمة والهوية والثقافة: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة، مجلة المستقبل، العدد٢٢٩، ١٩٩٨ م، ص: ٩٥-٩٦، د. هادي نعمان الهيني، الفضائيات وتأثيرها النفسي والمعرفي في الطفولة العربية، مجلة آفاق عربية، العدد: ٥، ١٩٩٧، ص: ١٠.

(٨) ومن وسائلها الشركات المتعددة أو المتعدية الجنسيات التي تشكل جوهر النظام الرأسمالي، واللاعب

الرئيس في صنع القرارات المتعلقة بنوعية الإنتاج وحجمه وطرق توزيعه وترويجه بأساليب دعائية رخيصة، ويتبع هذه الشركات العملاقة العديد من الجامعات ومراكز البحوث ووكالات الأنباء وشركات الإعلان وشبكات التلفزة الأرضية والفضائية التي جندت نشر السلوكيات والأفكار التي تضمن صهر أكبر عدد ممكن من ثقافات العالم في بوتقة الثقافة المعولمة ذات الطابع الاستهلاكي الغربي الموحد. وبناء على احصائيات منظمة مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية هناك ما يقرب من أربعين ألف شركة منها أربعون شركة عملاقة وتظهر الاحصاءات أن مائة دولة في العالم هي اضعف وأقل ثراء من أي شركة من هذه الشركات. نظر مزيداً من المعلومات عن هذه الشركات وتأثيرها في الاقتصاد العالمي، د. باسم خريسان، العولمة والتحدي الثقافي، مرجع سابق، ص: ٧٧، ألفن توفلر، تحول السلطة بين العنف والثروة والمعرفة، ترجمة نبيل عثمان (طرابلس الغرب: مكتبة طرابلس العلمية "٢، ١٩٨٦) ص: ٥٠، إبراهيم سعد الدين عبد الله، النظام الدولي وآليات التبعية في إطار الرأسمالية المتعددة الجنسيات، من أبحاث ندوة التنمية المستقلة في الوطن العربي، عمان نيسان / إبريل ٢٦-٢٨، ١٩٨٦، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٦م) ص: ٢٠-٢١.

(٩) روني جان ديبوي، العولمة واندفاع الهويات، عرض المجلة الأكاديمية المغربية العدد، ١٢ ١٩٩٥م، ص: ١٥٥.

(١٠) عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة كتاب العبر وديوان الخبر والمبتدأ في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٧) ص: ٢٥٨-٢٥٩. ويعتقد ابن خلدون أن السبب في ذلك عائد إلى أن النفس تعتقد الكمال فيمن غلب عليها وانقادت إليه، وقد طرح مثل هذا الرأي كثير من رواد النهضة العربية والإسلامية بعد الاحتكاك الحديث بالغرب قائلين صراحة او ضمنا أن غلبة الغرب العسكرية والحضارية إنما كانت بسبب تقدم الثقافة الغربية والأسلوب الغربي " في الحياة وفلسفته في ذلك، وفي هذا المنحى يتساوى صاحب الطرح الديني أو الدنيوي، ومع ذلك يرى آخرون أن الثقافة المركزية، كما يروج لهل الغرب، ينبغي ألا تؤخذ على علاتها، فقد أثبتت التجارب التاريخية أن الغالب في أحيان كثيرة يقلد المغلوب، ويؤثر المغلوب في الغالب ويطبعه بطابعه، وفي حضارتنا الإسلامية مثال واضح لذلك ؛ فالغزو المغولي الكاسح والمدمر سرعان ما هدأت وتيرته وتأثر الغالب بالمغلوب واعتنق ثقافته ودينه، أنظر على سبيل المثال: ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، ١٧٩٨-١٩٣٩م، (بيروت: دار النهار، ١٩٨٦)، ص: ١٢٦، محمد جابر الأنصاري، تحولات الفكر والسياسة في الوطن العربي ١٩٣٠-١٩٧٠ (نيقوسيا، دار دان للنشر، ط٢، د. ت)، المقدمة

(١١) جلال أمين، العولمة والدولة، من كتاب العرب والعولمة (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، ١٩٩٨م) ص: ١٥٦

(١٢) أحمد دعدوش، إشكالات الثقافة في عصر العولمة مرجع سابق.

(١٣) جمعة محمد الأحول، الثقافة العربية الإفريقية، مجلة دراسات طرابلس الغرب، عدد ٢٠٤، السنة ٢٦، ٢٠٠٥/ ص: ٢٨.

(١٤) نقلاً عن إبراهيم أبراش، الفكر العربي ومسألة الهوية في عصر العولمة الثقافية، مؤتمر الفكر

العربي والإسلامي في مواجهة التحديات المعاصرة، رام الله، فلسطين ١٣-١٦ تشرين الثاني / نوفمبر،٢٠٠٦م، ص: ٣. ونقول تعليقا على مقولة فريدمان أنه من الضروري التفريق بين أمرين رئيسين بينهما اختلاف شاسع، وهما التعامل مع الواقع من جهة والتعاون معه من جهة أخرى.

(١٥) لا تعني القطيعة هنا أن الإسلام أحدث نظاما وتشريعات منبتة تماما عن بيئة العرب وعاداتهم وتقاليدهم، بل تعني أن الإسلام جاء معززا لجوانب ومصححا او ملغيا لأخرى مما كان سائدا وممارسا في تلك البيئة.

(١٦) تركي الحمد، الثقافة العربية في عصر العولمة، مرجع سابق ١١٤، ١١٣ . وانظر، نبيل علقم، ثقافتنا بين الحماية والتجديد، بحث مقدم لمؤتمر الفكر القومي العربي الإسلامي/ رام الله / فلسطين، ١٣-١٦ نوفمبر / تشرين الثاني ٢٠٠٦، ص: ١٠.

(١٧) د. هشام شرابي، النقد الحضاري للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩، ص: ٨٦.

(١٨) د. مصطفى الشكعة، الأئمة الأربعة (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٣م، ص: ١٤٦

(١٩) تركي الحمد، الثقافة العربية في عصر العولمة، مرجع سابق، ص: ٧١.

(٢٠) المرجع نفسه، ص: ٧٢. وقد لاحظ الحمد أن المنتج الحضاري عندما ينتقل من مكان إلى آخر، فإنه ينقل معه ثقافته الخاصة التي أنجزته، وهذا يقتضي فهم هذه الثقافة، والوقوف على أسرارها، ومن ثم استيعابها في النسيج الثقافي المحلي، وبغير ذلك، فإن المنجز الحضاري سوف يخلق في النهاية ثقافته الخاصة به مما يولد ازدواجية ثقافية، أو تناقضاً بنيوياً في المجتمع المستهلك لا يلبث أن ينتهي لغير صالح الثقافة المحلية. أنظر، تركي الحمد دراسات أيديولوجية في الحالة العربية(بيروت: دار الطليعة، ١٩٩٢م، ص: ١٢٣.

(٢١) تركي الحمد، الثقافة العربية في عصر العولمة، مرجع سابق، ص: ١٣

(٢٢) المرجع نفسه، ص: ١٣١

(٢٣) محمد الميلي وآخرون، الخطة الشاملة للثقافة العربية (تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٩٦)، ص: ٦٩

(٢٤) الاسراء: ٧٠

(٢٥) رواه الترمذي عن ابي هريرة ورواه العسكري عن أنس مرفوعا بلفظ (العلم ضالة المؤمن حيث وجدها أخذها).

(٢٦) د. عادل الفتياني، الإسلام والتحديث، الصفحة الإلكترونية، HYPERLINK "http: // www.islamtoday.com" www.islamtoday.com

(٢٧) المرجع نفسه

(٢٨) البقرة: ١٤٣

(٢٩) د. يوسف القرضاوي، مستقبل الأصولية الإسلامية (القاهرة مؤسسة الرسالة د.ت) ص: ١٧-٤٦.

(٣٠) هود: ١١٨

(٣١) د. أحمد صدقي الدجاني، الدين والنظام العالمي بمنظور إسلامي، مجلة الأكاديمية المغربية، الرباط، العدد ١٢، ١٩٩٠، ص: ١٠١ وانظر سميح عاطف الزين، عالمية الإسلام ومادية العولمة (بيروت: الشركة العالمية للكتاب، ٢٠٠٠م)، ص: ١٨ وما بعدها.

(٣٢) لتعرف المزيد من الفروق بين عالمية الإسلام والعولمة أنظر: د. محمد حمدي زقزوق، الإسلام في عصر العولمة (القاهرة: مكتبة الشروق، ٢٠٠١م)، ص: ٥٠، سيار الجميل، العولمة والمستقبل: استراتيجية تفكير (عمان: الدار الأهلية للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠٠٠م)، ص: ٨٦.

(٣٣) د. عادل الفتياني، الإسلام والتحديث، الصفحة الإلكترونية، HYPERLINK "http://www. islamtoday.com" www.islamtoday.com

(٣٤) محمد المداح الإدريسي، المواطن العربي بين الفاعلية والتهميش في عالم متغير، مجلة الوحدة، المجلس القومي للثقافة العربية، المغرب، العدد٨٦، ص: ٢٣

(٣٥) د. ابراهيم أبراش، مرجع سابق، ص: ٣١

(٣٦) لا تقتصر هذه المعارضة على الدول النامية، بل هي تتنامى تتصاعد في كثير من الدول الغربية مثل: فرنسا، وكندا وهولندا، واسبانيا وغيرها، بل إن مفكرا يمينيا مثل هنتنجتون وهو صاحب نظرية صراع الحضارات لم يتردد في القول " ان الثقافة الغربية لا يمكن ان تكون ثقافة عالمية تعمل على الغاء التنوع الثقافي، واذا كان كثيرون في الغرب يعتقدون ان العالم يسير نحو ثقافة عالمية موحدة هي الثقافة الغربية، فمثل هذا الاعتقاد متغطرس، وزائف وخطر"، انظر، د. باسم خريسان، مرجع سابق، ص: ١٤٣، إياد شاكر البكري حرب المحطات الفضائية، عمان، دار الشروق، ١٩٩٩، ص: ٢٥٩.

(٣٧) د. نافع الحسن، فلسطين، الثورة والثقافة (تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، أليكسو، ١٩٨٤م)، ص: ٥٥ وانظر، محمد سعيد، تقرير عن الندوة الدولية: إشكالية التواصل بين الشرق والغرب، مجلة المستقبل العربي، العدد، ٢٣٣، ١٩٩٨م، ص: ٥٧.

(٣٨) أنظر علي أومليل، سؤال الثقافة، الثقافة العربية في عالم متحول (بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٧م) ص: ٧٠.

(٣٩) المرجع نفسه، ص: ٧١.

(٤٠) مجلة العربي، الكويت، العدد، ٥١٩، فبراير / شباط، ٢٠٠٢م، ص: ٣٢.

مراجع البحث:

أولا: الكتب

- إبراهيم سعد الدين عبد الله، النظام الدولي وآليات التبعية في إطار الرأسمالية المتعدية الجنسيات، من أبحاث ندوة التنمية المستقلة في الوطن العربي، (عمان، أبريل/ نيسان، ٢٦-٢٨/ ١٩٨٦م)، (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٦م).
- د. أحمد برقاوي، نحو تحديد فلسفي إنساني لمفهوم الثقافة العالمية، مدخل ميثادلوجي، من كتاب صراع حضارات أم صراع ثقافات التحرير، د. فخري لبيب، (القاهرة: مطبوعات التضامن، ١٩٩٧م).
- ألبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨-١٩٣٧م، (بيروت، دار النهار، ١٩٨٦م).
- ألفن توفلر، تحول السلطة بين العنف والثروة والمعرفة، ترجمة نبيل عثمان، (طرابلس الغرب: مكتبة طرابلس الليبية، ط٢، ١٩٨٦م).
- إياد شاكر البكري، حرب المحطات الفضائية، (عمان: دار الشروق، ١٩٩٩م).
- د. باسم خريسان، العولمة والتحدي الثقافي، (بيروت: دار الفكر العربي، ٢٠٠٠م).
- تركي الحمد، الثقافة العربية في عصر العولمة، (بيروت: دار الساقي، ١٩٩٨م).
- تركي الحمد، دراسات أيديولوجية في الحالة العربية، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٩٢م).
- جلال أمين، العولمة والدولة من كتاب العرب والعولمة، (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، ١٩٩٨م).
- داريوش شايغان، النفس المبتورة، هاجس الغرب في مجتمعاتنا، (لندن: دار الساقي، ١٩٩١م).
- سميح عاطف الزين، عالمية الإسلام ومادية العولمة، (بيروت : الشركة العالمية للكتاب، ٢٠٠٠م).
- سيار الجميل، العولمة والمستقبل استراتيجية تفكير، (عمان : الدار الأهلية للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠٠٠م).

- د. عبد الإله بلقزيز، العولمة والممانعة، دراسة في المسألة الثقافية، سلسلة المعرفة للجميع عدد ٤، (الرباط: منشورات رمسيس، ١٩٨٩م).
- عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة كتاب العبر وديوان الخبر والمبتدأ في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٧م).
- علي أومليل، الثقافة العربية في عالم متحول، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٧م).
- د. محمد جابر الأنصاري، تحولات الفكر والسياسة في الوطن العربي ١٩٣٠-١٩٧٠م)، (نيقوسيا، دار دان للنشر، ط٢، د.ت).
- د. محمد حمدي زقزوق، الإسلام في عصر العولمة، (القاهرة : مكتبة الشروق، ٢٠٠١م).
- محمد الميلي وآخرون، الخطة الشاملة للثقافة العربية، (تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٦م)
- د. مصطفى الشكعة، الأئمة الأربعة، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٣م).
- د. نافع الحسن، فلسطين الثورة والثقافة (تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٤م).
- د. هشام شرابي، النقد الحضاري للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩م).
- د. يوسف القرضاوي، مستقبل الأصولية الإسلامية، (القاهرة: مؤسسة الرسالة، د.ت).

ثانياً: الأبحاث

- إبراهيم أبراش، الفكر العربي ومسألة الهوية في عصر العولمة، مؤتمر الفكر العربي والإسلامي في مواجهة التحديات المعاصرة، رام الله / فلسطين، ١٣- ١٦ تشرين الثاني/ نوفمبر، ٢٠٠٦م.
- د. أحمد صدقي الدجاني، الدين والنظام العالمي الجديد بمنظور إسسلامي، المجلة الأكاديمية المغربية، الرباط، العدد، ١٢، ١٩٩٠م.
- جمعة محمد الأحول، الثقافة العربية الإفريقية، مجلة دراسات، طرابلس الغرب، العدد١٠٤، السنة ٢٠٠٥، ٢٦ م.
- سمير أمين، تحديات العولمة، مجلة شؤون الشرق الأوسط، مركز دراسات الإستراتيجيات والبحوث والتوثيق، بيروت، العدد٧١، ١٩٩٧م.
- د. عبد الإله بلقزيز، العولمة وهوية والثقافة، عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة، مجلة المستقبل بيروت، العدد ٢٢٩ ، ١٩٩٨م.
- د. عبد الله عبد الدايم، في سبيل ثقافة عربية مستقبلية، مجلة شئون عربية، بيروت، العدد، ٨٩، آذار، ١٩٩٧م.
- محمد المداح الإدريسي، المواطن العربي بين الفاعلية والتهميش، في عالم متغير، مجلة الوحدة، المجلس القومي للثقافة العربية، المغرب، العدد ٨٦، ٢٠٠٤م
- نبيل علقم، ثقافتنا بين الحماية والتجديد، مؤتمر الفكر العربي والإسلامي في مواجهة التحديات المعاصرة، رام الله / فلسطين، ١٣- ١٦ تشرين / نوفمبر ٢٠٠٦م
- د. هادي نعمان الهيني، الفضائيات وتأثيرها النفسي والمعرفي في الطفولة العربية مجلة آفاق عربية، ، العدد ٥، ١٩٩٧ م.

ثالثاً: المراجع الإلكترونية:

١-أحمد دعدوش، إشكالية الثقافة في عصر العولمة. ***http://www.saaid.net***

٢-عادل الفتياني، الإسلام والتحديث. ***www. islamtoday.com***

٣-عبدالله موسى، رؤيتنا الثقافية وتحديات العولمة، مجلة النبأ، العدد: ٢٩، السنة الرابعة ١٤١٩هـ. ***http://www.anabb.org***